الاموال والذخاير ما لا يحد ولا يحصى ثم رجع الى مراكش وقد اعجبه حسن بلاد الاندلس
وبهجتها وما بها من المباني والبساتين والمطاعم وساير اصناف الاموال التي لا توجد
في مراكش فانها بلاد بربر واجلاف العربان وجعل خواص الامير يوسف يعظمون
عنده بلاد الاندلس ويحسنون اخذها ويغرون قلبه على المعتمد باشيا نقلوها
فتغير عليه وقصده فلما انتهى الى سبتة جهز اليه العساكر وقدم عليها سير بن ابي
بكر الاندلسي فوصل الى اشبيلية وبها المعتمد فحاصره اشد محاصرة وظهر من مصابرة
المعتمد وشدة باسه وتراميه على الموت بنفسه ما لم يسمع بمثله والناس بالبلد قد
استولى عليهم الفزع وخامرهم الجزع يقطعون سبلها سباحة ويخوضون نهرها
سباحة ويترامون من شرافات الاسوار فلما كان يوم الاحد العشرين من رجب سنة
اربع وثمانين واربعماية هجم عسكر الامير يوسف البلد وشنوا فيه الغارات ولم
يتركوا لاحد شيئا وخرج الناس من منازلهم يسترون عوراتهم بايديهم وقبض
على المعتمد واهله وكان قد قتل له ولدان قبل ذلك احدهما المامون كان نايبا عن والده
في قرطبة فحصروه بها الى ان اخذوه وقتلوه والثاني الراضي كان ايضا نايبا عن
ابيه في رنده وهي من الحصون الممتنعة فنازلوها واخذوها وقتلوه وللمعتمد
فيهما مراث كثيرة وبعد ذلك جرى باشبيلية على المعتمد ما ذكرناه ولما اخذ المعتمد
قيد من ساعته وجعل مع اهله في سفينة قال ابن خاقان في قلايد العقيان في هذا
الموضع ثم جمع هو واهله وحملتهم الجواري المنشآت وضمتهم كانهم اموات بعد
ما ضاق عنهم القصر وراق منهم العصر والناس قد حشروا بضفتي الوادي وبكوا
بدموع الغوادي فساروا والنوح يحدوهم والبوح بالوعة لا يعدوهم وفي ذلك
يقول ابو بكر محمد بن عيسى الداني المعروف بابن اللبانة

تبكي السماء بمزن رايح غادي ❊ على البهاليل من ابناء عباد

ومن جملتها قوله

يا ضيف اقفر بيت المكرمات فخذ ❊ في ضم رحلك واجمع فضلة الزاد

وهي قصيدة طويلة لا حاجة الى ذكرها في هذه الحال صنفها يقول ابو محمد عبد الجبار
بن حمديس الصقلي الشاعر المشهور المقدم ذكره

ولما رحلتم بالندى في اكفكم ❊ وقلقل رضوى منكم وثبير
رفعت لساني بالقيامة قد دنت ❊ فهذي الجبال الراسيات تسير

وهي ابيات كثيرة وهذا المعنى ماخوذ من قول عبد الله بن المعتز في ابي العباس احمد
بن محمد بن الفرات المذكور وقد مات رحمه الله تعالى

قد استوى الناس ومات الكمال ❊ وقال صرف الدهر اين الرجال
هذا ابو العباس في نعشه ❊ قوموا انظروا كيف تسير الجبال

وقيل انه انشدها لمامات الوزير ابو القسم عبيد الله بن سليمان بن وهب والله اعلم
ثم وجدت القول الثاني هو الصحيح والله اعلم بالصواب وتامل المعتمد يوما من

قيده وضيقه وثقله فانشد

تبدلت من ظل عز البنود ❊ بذل الحديد وثقل القيود
وكان حديدي سنانا ذليقا ❊ وعضبا رقيقا صقيل الحديد
وقد صار ذاك وذا ادهما ❊ يعض بساقي عض الاسود

ثم انهم حملوا الى الامير يوسف بمراكش فامر بارسال المعتمد الى مدينة اغمات و
اعتقله بها فلم يخرج منها الى ان مات قال ابن خاقان ولما اجلي عن بلاده واعري
من طارفه وتلاده وحمل في السفين واحل في العدوة محل الدفين تندبه منابره
واعواده ولا يدنو منه زواره ولا عواده بقي بها سفا تتصعد زفراته وتطرد اطراد
المذانب عبراته لا يخلو بمؤانس ولا يرى الا عرينا بدلا عن تلك المكانس ولما لم يجد
سلوا ولم يؤمل دنوا ولم ير وجه مسرة مجلوا تذكر منازله فشاقته وتصور
بهجتها فراقته وتخيل استيحاش اوطانه واجهاش قصره الى قطانه واظلام جوه
من اقماره وخلوه من حراسه وسماره وفي اعتقاله يقول ابو بكر الداني المذكور
قصيدته المشهورة التي اولها

لكل شيء من الاشياء ميقات ❊ وللمنى من مناياهن غايات
والدهر في صبغة الحرباء منغمس ❊ الوان حالاته فيها استحالات
ونحن من لعب الشطرنج في يده ❊ وربما قمرت بالبيدق الشاة

قلت هذا فان الشاه بالهاء المهملة الملك بالعجمي واذا كان كذلك فلا يسلم لها التا
بيه لانها على حرف التاء

انفض يديك من الدنيا وساكنها ❊ فالارض قد اقفرت والناس قد ماتوا
وقل لعالمها الارضي قد كتمت ❊ سريرة العالم العلوي اغمات

وهي طويلة تقارب خمسين بيتا ايضا في حبسه قصيدة عملها باغمات سنة ست و
ثمانين واربعماية

تنشق رياحين السلام فانما ❊ افض بها مسكا عليك مختما
وقل لي مجازا ان عدمت حقيقة ❊ لعلك في نعمى فقد كنت منعما
افكر في عصر مضى لك مشرقا ❊ فيرجع ضوء الصبح عندي مظلما
واعجب من افق المجرة اذ راى ❊ كسوفك شمسا كيف اطلع انجما
لئن عظمت فيك الرزية اننا ❊ وجدناك منها في الرزية اعظما
قناة سعت للطعن حتى تقصدت ❊ وسيف اطال الضرب حتى تثلما

ومنها قوله ايضا

بكى آل عباد ولا كمحمد ❊ وابنائه صوب الغمامة اذ همى
حبيب الى قلبي حبيب لقوله ❊ عسى طلل يدنو بهم ولعلما
صباحهم كنا به نحمد السرى ❊ فلما عدمناهم سرينا على عمى
وكنا رعينا العز حول حماهم ❊ فقد اجدب المرعى وقد اقفر الحمى

Copyright © King Saud University